الكلمات والمواعظ

وداع رمضان

منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الَّذي جَعَلَ للشُّهور عِدَّة، وأَوْدَع الأَيَّام واللَّيالي فيها مُدَّة، أَسْكَنَ اللَّيْل وأَبْصَرَ النَّهار، وإِنَّ في ذلك لَعِبْرةً لأُولي الأبصار. أَحْمَدُه لِمَا أَوْلاه، وأَشْكُره على ما أعطاه، وأشهد أَلَّا إله إِلَّا الله، تَعَالَى عن الأنداد والأشباه، وأشهد أَنَّ محمَّدًا عبده ورسولُه ومُصطفاه، صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى آله وأصحابه الهُداه، ومَنِ اتَّبَعه بعدهم ووالاه.

أَمَّا بَعْدُ:

فإِنَّ رمضانَ - أيُّها المؤمِنون والمُؤمنات - قَرُبَ ارتحَالُه، ودَنَا انْتِقَالُه، مَضَت أَيَّامُه، وحَقَّ خِتَامُه، كان أَيَّامًا معدوداتٍ، وأيَّ أَيَّامٍ مَعدوداتٍ!

كان أَيَّامًا معدودات، فَرِحَ فيها المؤمنون والمؤمنات.

كان أَيَّامًا معدودات، بُثَّت فيها اللَّطائف والرَّحَمات.

كان أَيَّامًا معدودات، حَلَّت فيها أصناف البَرَكَات.

كان أَيَّامًا معدودات، كَثُرَت فيها أنواع الطَّاعات.

كان أَيَّامًا معدودات، اسْتُبِق فيها إلى الخيرات.

كان أَيَّامًا معدودات، عَظُمَت فيها الحَسَنات.

كان أَيَّامًا معدودات، رُفِعَت فيها الدَّرجات.

كان أَيَّامًا معدودات، كُفِّرَت فيها السَّيِّئات.

كان أَيَّامًا معدودات، مُحِيَت فيها الخَطِيئَات.

كان أَيَّامًا معدودات، أَمْسَك فيها الصَّائمون والصَّائمات.

كان أَيَّامًا معدودات، سَهِرَ فيها القائمون والقائمات.

كان أَيَّامًا معدودات، قَرَأ فيها التَّالُون والتَّالِيات.

كان أَيَّامًا معدودات، جَاد فيها المُحْسِنون بالطَّيِّبات.

كان أَيَّامًا معدودات، لَهَج فيها الدَّاعُون والدَّاعيات.

كان أَيَّامًا معدودات، جَأَرَ فيها الذَّاكِرُون والذَّاكِرَات.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

كان نَهارُ رمضانَ زَمَن صيامٍ ومُصافاة، وكان ليلُه أَوَانَ قيامٍ ومُناجاة، لَذَّتْ بحلاوتِه المُعاناة، وشَرُفَت بِلَحَظَاته المُوَافاة، فمَا أعظمَ بَرَكاتِ ساعاتِه! وما أحَلى جميعَ طاعاتِه!

لو كان لنا فيه خِيرَةٌ لاختَرْنَاه كُلَّ العام، وقد مَضَتْ حِكمَةُ اللهِ في جَعْلِه شَهْرًا وعلينَا الاسْتِسْلام.

إِنَّ وداعَ رمضانَ لا يكون - أَيُّها المؤمنون والمؤمنات - باسْتِجْلاب الأحزان، ولا باسْتِحْلاب الدُّموعِ للأَذْقان؛ فمَا الحُزنُ عليه بمشروعٍ فيُطلَب، ولا بمغلوبٍ إِنْ هَجَمَ فيُغلَب؛ فلا يُحَضُّ الخَلْقُ عليه، ولا يُلَام المغلوبُ إِنْ صار إليه؛ فكمْ له مِن سَلَفٍ راشد! وكم سَبَقه في حُزْنه عابد!

إِنَّ وداعَ رمضانَ يكون بِخَمْسٍ:

- إِكمالُ عِدَّته.
- وتكبيرُ الله على هدايته.
- والشُّكْرُ لنِعمته.
- ودعاؤُه وسؤالُ مغفرتِه.
- والاستعدادُ لِمَا بَقِيَ مِن تَتِمَّته.

فَوَدِّعوا - أَيُّها المؤمنون والمؤمنات - رمضانَ بإكمال عِدَّة الشَّهر؛ فإِنَّ إكمالَه مِن إحسان العمل؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف].

وإكمالُ شهر رمضانَ: يكون باستيعابِ أَيَّامه بالصِّيام؛ وقد يكون تِسعةً

وعشرين يومًا إذا رُئِي هلالُ شَوَّالٍ، وقد يكون ثلاثينَ يومًا إِنْ لم يُرَ الهلال.

ففي «الصَّحيحين» - واللَّفظُ لمسلمٍ -: أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الهِلَالَ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا؛ فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَصُومُوا ثَلَاثِينَ يَوْمًا**»[(١)].

فإذا رُئِي هلالُ شَوَّالٍ ليلةَ الثَّلاثين: انقضى الشَّهرُ ناقصًا، وإِنْ لم يُرَ: كَمُل الشَّهرُ تَامًّا.

ومِن إكمال العِدَّة: مُبادرةُ مَنْ أَفْطَرَ شيئًا مِن رمضانَ إلى قضاءِ ما عليه مِنْه؛ فيُبادِرُ إلى صيامِه، مُسارِعًا إلى تَبْرئةِ ذِمَّته، واستيفاءِ ما له مِن الأجر على صيام رمضانَ، يقضيه مُتتابِعًا إِنْ شاء - وهو الأفضلُ -، أو يقضيه مُتَفَرِّقًا.

إِنَّ إكمالَ عِدَّةِ رمضانَ نعمةٌ جليلةٌ، تُورِثُ في قلوب المُتَّقين فرحةً جميلة؛ قال الله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس].

ومِن أعظم مظاهر فضل الله ورحمتِه في رمضانَ: ما جَعَلَ فيه من الخيرات، وما قَسَمَ مِن البركات.

قال النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**للصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وإِذَا**

---

(١) أخرجه البخاريُّ (١٩٠٩)، ومسلمٌ (١٠٨١)، من حديث أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

لَقِيَ رَبَّه فَرِحَ بِصَوْمِهِ». مُتَّفقٌ عليه [١].

وفَرحُه بِفطرِه: يكون في كُلِّ يومٍ من أَيَّام رمضانَ، ثُمَّ يكونُ إذا انقضى رمضانُ.

- ويفرحُ الصَّائم عند فِطْرِه: لِمَا كَمُلَ له مِن العمل، وحَصَلَ من قُوَّة الغِذاء.
- ويفرحُ إذا لَقِيَ رَبَّه: لِمَا يَجِدُ مِن جزاء صومِه وحلاوة اللِّقاء.

فطُوبَى لِمَنْ كَمَّل الشَّهر؛ فَظَفِرَ بِوَافِرِ الأجر؛ لم يَتْرك من صيامه يوما، ولا فَرَّطَ فيه محروما.

وَدِّعُوا - أَيُّها المؤمنون والمؤمنات - رمضانَ بتكبير الله على هدايته؛ قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء].

قال أَبَانُ: «لَمْ يُعطَ التَّكبيرَ أَحَدٌ إِلَّا هذه الأُمَّةُ»؛ رواه عبد الرَّزَّاق في «مُصَنَّفه» [٢].

---

(١) أخرجه البخاريُّ (١٩٠٤)، ومسلمٌ (١١٥١)، من حديث أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) برقم (٢٠٥٨٣).

فَاصْدَعُوا مُكَبِّرِين ومُهَلِّلين وحَامِدين، في المساجِد والأسواق والبيوت عند انتهاء شهر صَوْمكم، تقولون: (الله أكبر الله أكبر، لا إله إِلَّا الله، الله أكبر الله أكبر، ولله الحمد)؛ يجْهر الرِّجالُ بِها، وتُسِرُّ النِّساءُ؛ إجلالًا لله وتعظيمًا، وإعلانًا بِالعِيد وتَفخيمًا.

وهؤلاء الكلمات (الله أكبر) و(لا إله إِلَّا الله) و(الحمد لله): مِن أَحَبِّ الكلام إلى الله، وأَثْقَلِه في الميزان، وأَعْظَمِه جزاءً فيما يَتكلَّم به الإنسان.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ: الحَمْدُ للهِ**». رواه التِّرمذيُّ وغيرُه[1] بإسنادٍ حَسنٍ.

وقال عبد الله بنُ عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ الرَّجُل إذا قال: (لا إِله إِلَّا الله)، فهي كلمة الإخلاص؛ الَّتي لم يقبَلِ الله مِن أحدٍ عَمَلًا حَتَّى يقولَها؛ فإذا قال: (الحمد لله)، فهي الكلمة الَّتي لم يغفِرِ اللهُ لعبدٍ قَطُّ حَتَّى يَقُولَها، وإذا قال: (الله أكبر)، فهي تملأ ما بين السَّماء والأرض...»؛ رواه عبد الرَّزَّاق[2].

فبُشْرَى لِمَنْ كَبَّر الله، وعَظَّمه لِمَا له مِن الخير هَداه؛ كَبَّر اللهَ تكبيرا، وذَكَره ذِكْرًا كثيرا.

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٣٨٣)، ومسلمٌ (٣٨٠٠)، من حديث جابرِ بنِ عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه عبد الرَّزَّاق (٢٠٥٧٩).

وَدِّعوا - أَيُّها المؤمنون والمؤمنات - رمضانَ بشُكْر الله لنِعمته؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[النحل:١١٤].

فإنَّ اللهَ لَمَّا كَتَبَ علينا الصِّيام كما كَتَبه على مَنْ قبلَنا، خَصَّنا بشَهْر رمضانَ في تَعْيِينه زمانًا لصيام الفَرْضِ علينا؛ فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[البقرة]. ثُمَّ قال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ﴾[البقرة:١٨٥].

فَأَنْعَمَ الله عَزَّوَجَلَّ علينا برمضان، وأَنْزَل فيه القرآن، وجَعَله شهرَ المغفرة والرِّضوان، ووعَدَنا عليه بالمغفرة مَرَّةً بعد مَرَّةٍ في عَمَلٍ بعد عَمَل.

فقال النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ؛ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ**»[(١)].

وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(٢)].

وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ**

(١) أخرجه مسلمٌ (٢٣٣)، من حديث أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٣٨، ١٩٠١، ٢٠١٤)، ومسلمٌ (٧٦٠)، من حديث أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ذَنْبِهِ» [١].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [٢].

وكُلُّ هذه الأحاديث في «الصَّحيحين» أو أحَدِهما.

فمَنْ عَرَف قَدْرَ هذه النِّعَم، شَكَرَ اللهَ عليها، وأَقَرَّ بفضلِ مَنْ أسداها إليه؛ فَحَفِظَ بِشُكْرِه النِّعَمَ الموجودة، واستَجْلَبَ به النِّعمَ المفقودة.

قال عَليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ النِّعمةَ مُوَصَّلةٌ بالشُّكْر، والشُّكرُ مُعَلَّقٌ بالمَزيد، وهما مَقْرونان في قرنٍ؛ فلن يَنْقَطِع المَزِيدُ مِن الله حَتَّى ينقطِعَ الشُّكرُ من العبدِ».

وقال عُمَرُ بنُ عبد العزيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَيِّدُوا النِّعمَ بالشُّكر».

رواهما ابن أبي الدُّنيا في كتاب «الشُّكر» [٣].

فهنيئًا لأهلِ الإسلام بنعمة رَبِّهم، ما جَعَل وما أَعَدَّ لهم، فالشُّكر لله على الإنعام، شُكْرًا بعد شُكْرٍ على الدَّوام.

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٧، ٢٠٠٨، ٢٠٠٩)، ومسلمٌ (٧٥٩)، من حديث أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٣٥، ١٩٠١، ٢٠١٤)، ومسلمٌ (٧٦٠)، من حديث أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجَ الأوَّلَ برقم (١٨)، والثَّاني برقم (٢٧).

وَدِّعوا - أَيُّها المؤمنون والمؤمنات - رمضان بدعاء الله وسؤال مغفرته؛ فَلْيَدعُ أَحدُكم رَبَّه بما شاء، ويعتني بجوامع الدُّعاء. **ومِن أَنْفَعه:** دعاء الله أَنْ يَتَقَبَّلَ عملَه، وأَنْ يُبَلِّغَه مِن رحمتِه أَمَلَه؛ فإِنَّ العبد لا يدري أَيُتَقَبَّل منه أَمْ لا؟

وخَيْرُ ما تُخْتَم به الصَّالحات: الاستغفار على الولاء.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧].

وقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ [النِّساء].

كان مَنْ مَضَى مِن السَّلف يجتهدون في إتمام العمل، فإذا كَمَّلوه أُلْقِي عليهم الهَمُّ في قَبُوله وخافوا مِن رَدِّه.

أخرج ابن أبي الدُّنيا عن فَضالةَ بنِ عُبَيْدٍ أَنَّه قال: «لَأَنْ أكونَ أعلمُ أَنَّ اللهَ يقبل مِنِّي مثقال حَبَّةٍ من خَرْدلٍ أَحَبُّ إِلَيَّ من الدُّنيا وما فيها؛ فإِنَّ الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]»[1].

وقال عبد العزيز بنُ أبي رَوَّادٍ: «أَدْرَكْتُهم يجتَهِدون في العمل الصَّالح، فإذا فَعلوه وَقَع عليهم الهَمُّ أَيُقْبَل منهم أَمْ لا؟»؛ ذَكَره ابن رجبٍ في «لطائف المعارف».

وأخرج الأصبهانِيُّ قَوَّام السُّنَّة في كتاب «التَّرغيب» عن مُعَلَّى بنِ الفضلِ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدُّنيا في «الإخلاص والنِّيَّة» (٢٠).

قال: «كانوا يَدْعُون الله عَزَّوَجَلَّ سِتَّة أَشْهُرٍ أَنْ يُبَلِّغهم شهرَ رمضانَ، ويَدْعُون اللهَ سِتَّة أَشْهُرٍ أَنْ يَتَقَبَّل منهم»[١].

ويَقْرِن العبدُ دُعاءَه بالتَّقَبُّل: باستغفارِ رَبِّه عمَّا قَصَّر؛ فالاستغفارُ ختامُ الأعمالِ الصَّالحات؛ فتُخْتَم به الصَّلاة، والحجُّ، وقيامُ اللَّيل في السَّحَر، ومجالسُ النَّاس.

وبه ينبغي أَنْ يُختَمَ صيامُ رمضانَ؛ فإِنَّه عَمَلٌ صالحٌ عظيمٌ، ومعه غيرُه من الأعمال المُخْتَصَّة برمضانَ، ويعْتَريها ما يَعْتَرِيها مِن غفلةٍ وخَلَل، وسَهْوٍ وخَطَل؛ فيحتاج العبد أَنْ يلزمَ الاستغفارَ في آخرِه.

وكان عمرُ بنُ عبد العزيزِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - الخليفةُ الصَّالحُ المعروفُ - يكتُب إلى الأمصار، يأمُرُهم بِخَتْم رمضانَ بالاستغفارِ؛ ذَكَره ابن رجبٍ في «لطائف المعارف».

وقال الحسن البصريُّ: «أَكْثِرُوا مِن الاستغفارِ في بُيُوتكم، وعلى موائِدِكم، وفي طُرقِكُم، وفي أسواقِكُم، وفي مجالِسِكُم أيْنَمَا كُنْتُم؛ فإِنَّكُم ما تَدْرُون متى تنزل المغفِرةُ». رواهُ ابن أبي الدُّنيا في كتابِ «التَّوبة»[٢].

وَذَكَر أبو الفَرَج الصُّورِيُّ أَنَّه رأى في المنام أبَا الحسن بْنَ سُكَّرٍ - أحدَ

---

(١) أخرجه الأصبهانِيُّ في «التَّرغيب والتَّرهيب» (١٧٦١).

(٢) برقم (١٥٨).

الصَّـالحين من القُرَّاء - بعد موته، وحالُه وزِيُّه صـالحٌ؛ فقال له: أيُّ الأعمال أنفع؟ فقال: «ما ثَمَّ شيءٌ أَنْفعُ من الاستغفار، أَكْثِرْ مِنهُ»[١].

فَزُلْفَى لِمَنْ دَعَا الله، وسـأله أَنْ يَتَقَبَّل منه ما أتاه، واسـتغفَرَ مُقِرًّا بتقصـيره، طامعًا في التَّجاوز عنه إلى مصيره.

وَدِّعوا رمضـانَ - أَيُّها المؤمنون والمؤمنات - بالاسـتعداد لِمَا بَقِي مِن تَتِمَّته؛ فإِنَّ صـيامَنا كما يحتاج إلى استغفارٍ نافع، يحتاج لتكميله بعَمَلٍ صـالح شافع، **وأعلاه: ثلاثةُ أعمالٍ:**

- زكاة الفطر.
- وصلاة العيد.
- وصيام سِتَّةِ أيَّامٍ من شَوَّالٍ.

فأَخْرِجوا زكاةَ فِطْرِكُم صـاعًا مِن طعامِ أهلِ بلدِكُم عن الواحد منكم؛ فقد «فَرَضَ رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زكاةَ الفطرِ صـاعًا مِن تمرٍ، أو صـاعًا من شـعيرٍ، على العبد والحُرِّ، والذَّكَر والأنثى، والصَّـغير والكبير مِن المسـلمين، وأَمَر بِها أَنْ تُؤدَّى قبل خروج النَّاس إلى الصَّلاة»؛ مُتَّفَقٌ عليه[٢].

---

(١) ذكره ابن عساكر في ترجمة أبي الحسن ابنِ سُكَّرٍ في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٣٢٧).

(٢) أخرجه البخاريُّ (١٥٠٣، ١٥٠٤)، ومسلمٌ (٩٨٤)، من حديث عبد الله بنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وهي «طُهرةٌ للصَّائم مِن اللَّغو والرَّفث، وطُعمةٌ للمساكين» (١).

قال بعض العلماء المُتَقَدِّمين: (إنَّ صَدَقة الفِطْرِ للصَّائم، كَسَجْدَتَي السَّهو للصَّلاة)؛ ذَكَره ابن رجبٍ في «لطائف المعارف».

وصَلُّوا صلاةَ العيدِ؛ فإنَّه مِن تمام ذِكْر رَبِّكم عند تمام شَهْرِكم.

ولِعِظَمِ قَدْرِها، وشَرَفِ رُتبتِها؛ أُمِرَ بالخروج إليها مَنْ لا تجب عليه صلاةُ الفرضِ أصلًا.

فعن أُمِّ عطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «أَمَرنا - تعني النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ نُخرِج في العِيدين العَوَاتِقَ وذواتِ الخُدُور، وأَمَر الحُيَّضَ أَنْ يعْتَزِلْنَ مُصَلَّى المسلمين»؛ مُتَّفقٌ عليه، واللَّفظ لمسلمٍ (٢).

فإذا شرعْتُم بعد عيدِكم تقطَعُون شهرَ شَوَّالٍ، فصُوموا منه سِتَّة أيَّامٍ.

ففي «صحيح مسلمٍ» عن رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أَنَّه قال: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ؛ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**» (٣).

(١) أخرجه أبو داودَ (١٦٠٩)، وابن ماجهْ (١٨٢٧)، من حديث عبد الله بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٣٢٤، ٣٥١، ٩٧١، ٩٧٤، ٩٨٠، ٩٨١، ١٦٥٢)، ومسلمٌ (٨٩٠).

(٣) أخرجه مسلمٌ (١١٦٤)، من حديث أبي أيُّوب الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَيُّها المؤمنون والمؤمنات!

استقبِلُوا ما بَقِيَ من أعمارِكم بعد رمضانَ بتوبةٍ خالصةٍ، وأَوْبةٍ صادقةٍ، انفُضُوا عن أنفسِكم الذُّنوب، وتُوبُوا إلى الله فإِنَّ الله يقبَل مَنْ يتوب.

احْرِصوا على فِعْل الحسنات، وتَوَقَّوْا مقارفةَ السَّيِّئات، وإذا انْقَضَى شَهْرُكم فلا تُقَصِّروا في صالح عملكم؛ فإِنَّ عَمَل أحدِنا لا ينبغي أَنْ ينقطِع إِلَّا بالموت.

قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر] أي الموت.

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ**...». رواه مسلمٌ[1].

فلا انقطاعَ للعملِ، إِلَّا بالموتِ وانقضاءِ الأجل.

وكان الحسن البصريُّ يقول في موعظته: «المبادرةَ - عبادَ الله - المُبادرةَ، فإِنَّما هي الأنفاسُ لو قَدْ حُبِسَت انقطعَتْ عنكُم أعمالُكم الَّتي تَقَرَّبون بِها إلى الله عَزَّوَجَلَّ، رَحِم الله امْرَأً نَظَر لنفسِه، وبَكَى على ذنوبه»، ثُمَّ يقرأ هذه الآية:

(١) برقم (١٦٣١)، من حديث أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٤]. ثُمَّ يبكي ويقولُ: «آخِرُ العَددِ: خروجُ نَفَسِك، آخِرُ العدد: فِراقُ أهلِك، آخِرُ العَدَدِ: دُخولُك في قبْرِك». رواه البيهقيُّ في «شُعَب الإيمان» (١).

وَاذكرُوا بانقضاء الشَّهرِ انقضاءَ أعمارِكُم، وحلولَ آجَالِكُم؛ فما حياةُ أحَدِنا إِلَّا أَيَّامٌ فتنتهي.

قال الحسن البصريُّ: «إِنَّما أنتَ أيَّامٌ؛ كُلَّما ذَهَب يومٌ ذَهَب بعضُك»؛ رواه أبو نُعَيمٍ في كتاب «حليةِ الأولياء» (٢).

فمَنْ عَرَف أَنَّ الدُّنيا زائلة، عَبَرَها ونَفْسُه تطلبُ الآخِرَة، وإِنْ غَفَلَ عن هذا تَعَلَّق بِها فَدَهَتْه الدَّاهية؛ قال الله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وقال: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**».

وكان ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «إذا أَمْسَيْتَ فلا تنتظرِ الصَّباحَ، وإذا

---

(١) برقم (١٦٣١)، من حديث أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ص (٢/ ١٤٨).

أصبحتَ فلا تنتظرِ المساءَ، وخُذْ مِن صِحَّتِك لمرضك، ومِن حياتك لموتك».

رواهما البخاريُّ [١].

وقال عليُّ بنُ أبي طالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ارتحلتِ الدُّنيا مُدْبِرةً، وارتحَلتِ الآخرة مُقبِلَةً، ولِكُلِّ واحدةٍ منهما بَنُونَ؛ فكونوا مِن أبناء الآخرة، ولا تكونوا مِن أبناء الدُّنيا؛ فإنَّ اليوم عَمَلٌ ولا حسابٌ، وغدًا حسابٌ ولا عملٌ».

عَلَّقه البخاريُّ في «صحيحه» [٢]، وَوَصلَه أبو نُعَيْمٍ الأصبهانِيُّ في «حلية الأولياء» [٣] وغيرُه بإسنادٍ صحيحٍ.

اللَّهمَّ مَتِّعْنا متاعًا حسنًا إلى حِين، واجعلْنا مِن عبادِك المُحسنين.

اللَّهمَّ اجعلْنا مِمَّنْ صام رمضانَ إيمانًا واحتسابًا، واجعلْنا مِمَّنْ قام رمضانَ إيمانًا واحتسابًا، واجعلْنا مِمَّنْ قامَ ليلةَ القدر إيمانًا واحتسابًا.

اللَّهمَّ آتِ نُفوسَنا تقواها، وزَكِّها أنت خيرُ مَنْ زَكَّاها، أنت وَلِيُّها ومولاها.

اللَّهمَّ إنَّا نسألك الهُدى، والتُّقى، والعَفافَ، والغِنى.

اللَّهمَّ أَعِدْ علينا رمضانَ أعوامًا مَديدةً، وسَنواتٍ عديدةً، ونحن في صِحَّةٍ

---

(١) برقم (٦٤١٦).

(٢) قبل حديث (٦٤١٧).

(٣) ص (٢/ ٧٦).

وعافيةٍ، وأَمْنٍ ومُعافاةٍ، وصلاحٍ وإيمانٍ، وتَوَلَّنا برحمتك يا أرحم الرَّاحمين.

والحمد لله ربِّ العالمين.

أُلقيت يوم الثلاثاء التَّاسع والعشرين مِنْ رمضانَ
سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ بَعْدَ الأَرْبَعِمائةِ والأَلفِ
بِمَسْجِدِ مصعبِ بنِ عُمَيْر بِحَيِّ الجَزيرة
بِمَدِينَةِ الرِّيَاضِ حَفِظَهَا اللّه دَارًا لِلْإِسْلَامِ والسُّنَّةِ